سلسلة الدروس (١٧)

١٤٤٨هـ

شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد

تأليف

العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

الشيخة

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

دار الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

❐أسئلة وأجوبة الدرس (١٦)❐

١. من الأحبار؟

الأحبار: العلماء، وهو جمع حَبر. والرهبان: هم العُباد، النُّسَّاك.

٢. ما معنى {أربابًا من دون الله}؟

أندادًا وشركاء من دون الله، ودون بمعنى سوى.

٣. اذكري دليلًا على أن التشريع من خصائص الله؟

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

٤. ما هو الشاهد في هذه الآية﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]؟

أن من التوحيد تحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله.

٥. الذي يتبع مخلوقًا في تحريم حلال أو تحليل حرام؟

إن كان اتبعه على علم مع اعتقاد تحريم ما أحله الله أو تحليل ما حرم الله فهذا يكون مشركًا، أما إن اتبعه في تحليل حرام أو تحريم حلال جاهلًا، أو يعتقد أن التحليل والتحريم بيد الله، ولكن اتبعه لغرض وظيفة أو مجاملة.. فهذا شرك أصغر. هذا خلاصة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٦. المجتهد إذا اجتهد في مسألة وخالف الصواب فيها هل يأثم؟

إذا اجتهد وأخطأ فله أجر كما في الصحيح.

٧. من عجز عن إظهار الحق الذي يعلمه هل عليه إثم؟

ليس عليه إثم، هذا كالنجاشي فقد كان بين النصارى وكتم.

٨. ماذا تعرفين عن النجاشي؟

اسمه أصحمة، وهو ملك الحبشة، وقد آوى الصحابة وناصر الذين هاجروا إليه، ولم يلق النَّبِيّ ﷺ، فليس بصحابي، وقد صلى عليه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صلاة الغائب عندما مات ونعاه.

٩. ما سبب نزول قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المَائِدَة: ٨٣]؟

نزلت في النجاشي وأصحابه.

١٠. الأصل في اليهود الانقياد أو العناد؟

العناد، قال تَعَالَى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

١١. هل اليهود كلهم يقولون: عزير ابن الله؟

بعضهم وليس جميعهم.

١٢. هل اليهود تعبد عزيرًا؟

طائفة من اليهود تعبد عزيرًا.

١٣. هل اليهود مشركون؟

نعم مشركون كما في آية التوبة وغيرها.

١٤. تعريف التقليد؟

قبول قول من ليس بحجة بدون حجة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٧)

قَالَ الشيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ حَسَنَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيُّ رحمه الله:

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآيَةَ (١).

.....

قَالَ العِمَادُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله تَعَالَى: يَذْكُرُ تَعَالَى حَالَ المُشْرِكِينَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَآلَهُمْ فِي

---

(١) إعراب: (الآيَةَ) مفعول به لفعل محذوف تقديره: أكمل الآية.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ (من) تبعيضية بمعنى: بعض، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(من) اسم موصول مبتدأ مؤخر. ويجوز في (من) أن تكون نكرة موصوفة، وتكون الجملة (يتخذ من دون الله) صفة.

و(يتخذ) أفرد ولم يقل: يتخذون باعتبار لفظ (من)، مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٣].

فيجوز هذا، ويجوز الإتيان بواو الجمع باعتبار المعنى، كما قال تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾[يونس].

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غير الله.

الدَّارِ الْآخِرَةِ، حَيْثُ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا[٢].

أَيْ[٣]: أَمْثَالًا وَنَظَرَاءَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ، وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا ضِدَّ

---

(٢) تفسيره هنا: (أَيْ: أَمْثَالًا وَنَظَرَاءَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ).

(٣) (أي) تفسيرية.

لَهُ (٤)، وَلَا نِدَّ لَهُ (٥)، وَلَا شَرِيكَ مَعَهُ (٦).

---

(٤) الضِّدُّ: هُوَ النَّظِيرُ وَالْكُفْءُ وَالْجَمْعُ أَضْدَادٌ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الضِّدُّ مِثْلُ الشَّيْءِ، وَالضِّدُّ خِلَافُهُ، وَضَادَّهُ مُضَادَّةً إِذَا بَايَنَهُ مُخَالَفَةً. «المصباح المنير»(٢/٣٥٩).

فيستفاد: أن الضد يأتي لمعنيين: النظير والمثيل، والشيء المخالف، يقال: هذا ضد هذا.

فعلى هذا يكون هنا المعنيان صحيحان، فالله ﷻ لا مثيل له ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، ولا ضد له، فليس له منازع، بخلاف المخلوقين يوجد من يقف ضدهم وينازعهم وينقض حكمهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]، فالله ﷻ ليس له منازع ولا مغالب.

أما ما جاء في قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» رواه أبو داود (٣٥٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وهو في الصحيح المسند لوالدي رحمه الله (٧٥٥). فالمراد: خالف أمر الله.

(٥) الند: الشبيه والنظير ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]

(٦) كما قال تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]، فالله ﷻ واحد في ذاته وألوهيته ربوبيته وأسمائه وصفاته، لا شريك له.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» (٧).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾، وَحُبِّهِمْ لِلَّهِ، وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ، وَتَوْقِيرِهِمْ، وَتَوْحِيدِهِمْ، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، بَلْ يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ، وَيَلْجَأُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ.

ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾[البقرة:١٦٥].

قَالَ بَعْضُهُمْ: تَقْدِيرُ الكَلَامِ (لَوْ عَايَنُوا العَذَابَ؛ لَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (٨)؛ أَيْ: أَنَّ الحُكْمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ تَحْتَ قَهْرِهِ، وَغَلَبَتِهِ،

---

(٧) روا البخاري (٦٠٠١)، ومسلم (٨٦).

وجملة: (وَهُوَ خَلَقَكَ) في محل نصب حال، أي: الذي خلقك وحده هو الله، ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[فاطر:٣]، فكيف يُجعل له شريك في العبادة؟!

(٨) هذا تقدير جواب (لو) الشرطية، قال أبو البقاء العكبري ﷺ في«التبيان في إعراب القران»(١٣٥): وَتَقْدِيرُ الْجَوَابِ: لَعَلِمُوا أَنَّ الْقُوَّةَ، أَوْ لَعَلِمُوا أَنَّ الْأَنْدَادَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ. اهـ.
والله ﷻ يقول:﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾[الحج]. وقوة ابن آدم لا شيء بجانب قوة الله، بل قال ابن القيم ﷺ في «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٣٠): لو قَدِّر قوى جميع المخلوقات اجتمعت لواحد منهم، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد، فإذا نسبت قوته إلى قوة الرب ﷻ لم تجد لها نسبة وإياها البتة، كما لا تجد نسبة بين قوة البعوضة وقوة الأسد.

وَسُلْطَانِهِ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ كَمَا قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦].

يَقُولُ: لَوْ عَلِمُوا مَا يُعَانُونَ(٩) هُنَاكَ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ الْمُنْكَرِ الْهَائِلِ عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؛ لَانْتَهَوْا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ كُفْرِهِمْ بِأَوْثَانِهِمْ وَتَبَرُّؤِ الْمَتْبُوعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦]، تَبَرَّأَتْ مِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣]، وَيَقُولُونَ: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١]، وَالْجِنُّ أَيْضًا

وقال ابن القيم في «شفاء العليل» (١٠٨): ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم، ثم أعطي كل منهم مثل تلك القوة، لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة العرش.

(إذ) ظرف لما مضى من الزمان، عكس (إذا) الشرطية الظرفية، فإنها ظرف لما يستقبل من الزمان.

وقد تستعمل (إذ) للمستقبل كما في هذه الآية، وكما في قوله تَعَالَى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧١]. ويراجع «موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب» للفائدة.

(٩) والذي في «تفسير ابن كثير» تفسير سور البقرة: يعاينونه. أي: يشاهدونه.

يَتَبَرَّأُونَ مِنْهُمْ، وَيَتَنَصَّلُونَ (١٠) مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ

---

(١٠) أي: يتبرؤون. في «مختار الصحاح»(٣١٢): (تَنَصَّلَ) فُلَانٌ مِنْ ذَنْبِهِ تَبَرَّأَ. اهـ.

وهذا من مشاهد يوم القيامة وأحوالها تبرؤ المتبوعين من الأتباع، فالملائكة تتبرأ منهم، قال تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وكبارهم يتبرؤون منهم، قال تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١-٨٢]، وقال تَعَالَى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

بل كبيرهم الشيطان-الذي في الأصل عبادتهم له، كما قال تَعَالَى: ﴿*أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠]، وعبادته هنا بطاعته-الذي قادهم إلى النار يتبرأ منهم كما في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. انْتَهَى كَلَامُهُ(١١).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: مُبَاهَاةً وَمُضَاهَاةً(١٢) لِلْحَقِّ بِالْأَنْدَادِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ مِنَ الكُفَّارِ لِأَوْثَانِهِمْ(١٣).

.....

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ الْأُمُورِ المُبَيِّنَةِ لِتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: آيَةُ البَقَرَةِ فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧].

ذِكْرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبًّا عَظِيمًا، فَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟ فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا

---

(١١) أي: كلام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١٢) أي: يفتخرون، فالمباهاة: المفاخرة، ومضاهاة أي: يضاهئون، ويساوون الأصنام بالله الحق تعالى.

(١٣) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسير هذه الآية، وسنده صحيح.

وتفسير مجاهد يبين معنى الآية أن المراد: أن المؤمنين يحبون الله أشد من محبة الكفار لأوثانهم، وسيأتي هذا فيما بعد إن شاء الله في المراد بالآية في درسِنا هذا.

النِّدَّ وَحْدَهُ؟ انْتَهَى (١٤).

فَفِي الْآيَةِ بَيَانُ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فِي الْمَحَبَّةِ فَقَدْ جَعَلَهُ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَاتَّخَذَهُ نِدًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أُولَئِكَ (١٥): ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ

---

(١٤) هذا من استنباطات الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي صاحب المتن «كتاب التوحيد» من هذه الآية: أن من أحب غيرَ الله كمحبة لله أو أشد يكون مشركًا؛ لأنه أشرك مع الله في المحبة.

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ في «القول المفيد» (١/ ١٦٢): فالأقسام أربعة:

الأول: أن يحب الله حبا أشد من غيره، فهذا هو التوحيد.

الثاني: أن يحب غير الله كمحبة الله، وهذا شرك.

الثالث: أن يحب غير الله أشد حبا من الله، وهذا أعظم مما قبله.

الرابع: أن يحب غير الله وليس في قلبه محبة لله تعالى، وهذا أعظم وأطم.

(١٥) يشير إلى قوله تَعَالَى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فهذا شرك أكبر لا يغفره الله؛ ولهذا الله يقول: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾، وهذه عقوبة الشرك الأكبر.

والظلم في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴿١٦٥﴾﴾ المراد به: الشرك؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، فالشرك أعظم الظلم ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، وتقدم الكلام على هذه الآية واستشكال الصحابة ﷺ، ولتجديد العهد به، فهذا نصه:

يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴿١٦٥﴾﴾، الْمُرَادُ بِالظُّلْمِ هُنَا الشِّرْكُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، كَمَا تَقَدَّمَ؛ فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَحْدَهُ (١٦)، وَأَحَبَّ فِيهِ وَلَهُ؛ فَهُوَ مُخْلِصٌ (١٧)، وَمَنْ أَحَبَّهُ وَأَحَبَّ مَعَهُ غَيْرَهُ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] (١٨).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾» رواه البخاري (٦٩٣٧).

(١٦) هذه هو توحيد المحبة، أحب الله سُبحَانَهُ ولم يشرك معه في المحبة.

(١٧) أحب الملائكة، الأنبياء، الأولياء، أحبهم في الله ولله، فمن محبة الله سُبحَانَهُ أن يحب فيه وله.

(١٨) هذه المحبة شركية أن يحب الله ويحب معه غيره.

فمتى تكون المحبة شركية؟ أن يحب الله ويحب معه غيره؛ لأنه اتخذ ندًا لله، فهذا مشرك.

واستفدنا قسمين من أقسام المحبة:

أن يحب الله وحده ويحب في الله، فما يحب شخصًا أو يحب عملًا إلا لأن الله يحبه، وهذا من التوحيد.

وأن يحب مع الله غير الله، كمن يحب الأصنام، هذا يكون مشركًا.

فهذان قسمان، ومعرفة الفرق بينهما من الأمور المهمة، حتى قال ابن القيم رحمه الله في «الروح»(٢٥٣): وكل أحد مُحْتَاج بل مُضْطَر إِلَى الْفرق بَين هَذَا وَهَذَا فالحب فِي الله هُوَ من كَمَال الْإِيمَان وَالْحب مَعَ الله هُوَ عين الشّرك.

ثم ذكر الفرق بينهما، وقال: وَالْفرق بَينهمَا: أَن الْمُحب فِي الْحبّ تَابع لمحبة الله، فَإِذا تمكنت محبته من قلب العَبْد أوجبت تِلْكَ الْمحبَّة أن يحب مَا يُحِبهُ الله، فَإِذا أحب مَا أحبه ربه وَوَلِيُّهُ كَانَ ذَلِك الْحبّ لَهُ وَفِيه، كَمَا يحب رسله وأنبياءه وَمَلَائِكَته وأولياءه؛ لكَونه تَعَالَى يُحِبهُمْ، وَيبغض من يبغضهم؛ لكَونه تَعَالَى ببغضهم.

وعلامة هَذَا الْحبّ والبغض فِي الله: أَنه لَا يَنْقَلِب بغضه لبغيض الله حبًّا؛ لإحسانه إِلَيْهِ وخدمته لَهُ وَقَضَاء حَوَائِجه، وَلَا يَنْقَلِب حبه لحبيب الله بغضًا، إِذا وصَل إِلَيْهِ من جِهَته ما يكرههُ ويؤلمه: إِمَّا خطأ، وَإِمَّا عمدا مُطيعًا لله فِيهِ، أَو متأوِّلًا، أَو مُجْتَهدًا، أَو بَاغِيًا نازعًا تَائِبًا، وَالدّين كُله يَدُور على أَربع قَوَاعِد: حب وبغض، وَيَتَرَتَّب عَلَيْهِمَا فعل وَترك.

فَمن كَانَ حبه وبغضه وَفعله وَتَركه لله فقد اسْتكْمل الْإِيمَان، بِحَيْثُ إِذا أحب أحب لله، وَإِذا أبْغض أبْغض لله، وَإِذا فعل فعل لله، وَإِذا ترك ترك لله، وَمَا نقص من أصنافه هَذِه الْأَرْبَعَة نقص من إِيمَانه وَدينه بِحَسبِهِ. اهـ.

يُتأمل هذه الأربع القواعد:

إِذا أحب أحب لله، وَإِذا أبْغض أبْغض لله، وَإِذا فعل فعل لله، وَإِذا ترك ترك لله.

(وَمَا نقص من أصنافه هَذِه الْأَرْبَعَة نقص من إِيمَانه وَدينه بِحَسبِهِ) وهذا يفيد نقصان الإيمان وزيادته.

هذا النوع الأول الحب في الله هذا تابع لمحبة الله؛ لأنه ما أحب ذلك الشيء إلا لأن الله يحبه، فهو أحبه انقياد وخضوع لأمر الله ﷻ؛ لأن الله أمر بفعله أو أمر بتركه، إذن هذا النوع تابع لمحبة الله سُبحَانَهُ، وهذا من التوحيد والإيمان.

ثم قال: وَهَذَا بِخِلَاف الْحبّ مَعَ الله فَهُوَ نَوْعَانِ: يقْدَح فِي أصل التَّوْحِيد، وَهُوَ شرك، وَنَوع يقْدَح فِي كَمَال الْإِخْلَاص ومحبة الله، وَلَا يخرج من الْإِسْلَام.

(يقْدَح فِي أصل التَّوْحِيد وَهُوَ شرك) أي: شرك أكبر، (وَنَوع يقْدَح فِي كَمَال الْإِخْلَاص ومحبة الله) وهذا النوع شرك أصغر.

وتفسيره بعد هذا قال: فَالْأول كمحبة الْمُشْركين لأوثانهم وأندادهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، وَهَؤُلَاء الْمُشْركُونَ يحبون أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم مَعَ الله كَمَا يحبونَ الله، فَهَذِهِ محبَّة تأله وموالاة، يتبعهَا الْخَوْف والرجاء وَالْعِبَادَة وَالدُّعَاء، وَهَذِه الْمحبَّة هِيَ محْض الشّرك الَّذِي لَا يغفره الله، وَلَا يتم الْإِيمَان إِلَّا بمعاداة هَذِه الأنداد، وَشدَّة بغضها وبغض أَهلهَا ومعاداتهم ومحاربتهم، وَبِذَلِك أرسل الله جَمِيع رسله وَأنزل جَمِيع كتبه، وَخلق النَّار لأهل هَذِه الْمحبَّة الشركية، وَخلق الْجنَّة لمن حَارب أَهلهَا وعاداهم فِيهِ وَفِي مرضاته، فَكل من عبد شَيْئا من لدن عَرْشه إِلَى قَرَار أرضه فقد اتخذ من دون الله إِلَهًا ووليا وأشرك بِهِ كَائِنًا ذَلِك المعبود مَا كَانَ، وَلَا بُد أَن يتبرأ مِنْهُ أحوج مَا كَانَ إِلَيْهِ. اهـ.

(فَالْأول كمحبة الْمُشْركين) هذه النوع المخرج من الملة.

(فكل من عبد شَيْئا من لدن عَرْشه إِلَى قَرَار أرضه) سواء عبد العالَم العلوي كالملائكة والشمس والقمر، أو عبد العالَم السُّفلي كالأشجار والأحجار والقبور.

(وَلَا بُد أَن يتبرأ مِنْهُ أحوج مَا كَانَ إِلَيْهِ) وهذه العبارة تتكرر في كلام ابن القيم رحمه الله، مثل قوله في كتاب «الأمثال»: وَهَذِهِ حَالُ كُلِّ صَاحِبِ بَاطِلٍ، فَإِنَّهُ يَخُونُهُ بَاطِلُهُ أَحوَجُ مَا كَانَ إِلَيهِ؛ فَإِنَّ البَاطِلَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهُوَ كَاسْمِهِ بَاطِلٌ.

وقوله رحمه الله أيضًا في هذا الكتاب نفسه: وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعَمَلِ الْمُرَائِي وَنَفَقَتِهِ، لَا يَقْدِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَوَابِ شَيْءٍ مِنْهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ. اهـ.

ثم قال: وَالنَّوْع الثَّانِي: محبَّة مَا زينه الله للنفوس من النِّسَاء والبنين وَالذَّهَب وَالْفِضَّة وَالْخَيْل المسومة والأنعام والحرث، فيحبها محبَّة شَهْوَة، كمحبة الجائع للطعام والظمآن للْمَاء.

قال: فَهَذِهِ الْمحبَّة ثَلَاثَة أَنْوَاع: فَإِن أحبها لله توصلا بهَا إِلَيْهِ واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عَلَيْهَا، وَكَانَت من قسم الْحبّ لله توصلا بهَا إِلَيْهِ، ويلتذ بالتمتع بهَا، وَهَذَا حَالة أكمل الْخلق الَّذِي حبب إِلَيْهِ من الدُّنْيَا النِّسَاء وَالطّيب، وَكَانَت محبته لَهما عونا لَهُ على محبَّة الله، وتبليغ رسَالَته، وَالْقِيَام بأَمْره. اهـ.

تعليق: (فَهَذِهِ الْمحبَّة ثَلَاثَة أَنْوَاع) المحبة الطبيعية(وهي محبَّة مَا زينه الله للنفوس من النِّسَاء والبنين...)

(أكمل الْخلق) وهو النَّبِيّ ﷺ.

هذا النوع الأول-وهي محبة السابقين كما سيأتي في آخر كلامه-: يحب هذه الأشياء المباحة، ويستعين بها على مرضاة الله.

ثم قال عن النوع الثاني-وهي محبة المقتصدين-: وَإِن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته وَلم يؤثرها على مَا يُحِبهُ الله ويرضاه، بل نالها بِحكم الْمَيْل الطبيعي، كَانَت من قسم الْمُبَاحَات وَلم يُعَاقب على ذَلِك، وَلَكِن ينقص من كَمَال محبته لله والمحبة فِيهِ. اهـ.

هذه محبة طبيعية؛ لأنها في أمور مباحة، ولا إثم عليها، لكنه ينقص من كمال محبة لله، والمحبة في الله؛ لأنه لم يتوصل بها إلى مرضاة الله وطاعته، فليس عنده نية الاستعانة بها على الخير كما هو حال كثير من الناس، وهذا قصور.

ثم قال عن النوع الثالث-وهي ومحبة الظالمين-: وَإِن كَانَت هِيَ مَقْصُودَه وَمرَاده، وسعيه فِي تَحْصِيلهَا وَالظفر بهَا، وقدمها على مَا يُحِبهُ الله ويرضاه مِنْهُ، كَانَ ظَالِما لنَفسِهِ مُتبعا لهواه. اهـ.

هذه محبة شركية، مع أنها في الأصل محبة طبيعية، لكنه آثرها على ما يحبه الله ويرضاه.

ثم قال:

فَالْأولى محبَّة السَّابِقين.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله -مَا مَعْنَاهُ-: فَمَنْ رَغِبَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ، أَوْ تَفْرِيجِ كُرْبَةٍ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لَهُ، وَمَحَبَّتُهُ هِيَ الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ. انْتَهَى [١٩].

فَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَنْفِي كُلَّ شِرْكٍ فِي أَيِّ نَوْعٍ كَانَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَتُثْبِتُ الْعِبَادَةَ بِجَمِيعِ أَفْرَادِهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ [٢٠] أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَأْلُوهُ الَّذِي تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ بِالْمَحَبَّةِ وَغَيْرِهَا [٢١] مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ عَنْ

وَالثَّانِيَة محبَّة الْمُقْتَصِدِينَ.

وَالثَّالِثَة محبَّة الظَّالِمين.

فَتَأمل هَذَا الْموضع، وَمَا فِيهِ من الْجمع وَالْفرق؛ فَإِنَّهُ معترك النَّفس الأمارة والمطمئنة، وَالْمهْدِي من هداه الله. اهـ.

فهذه ثلاثة أنواع لمحبة ما تهواه النفوس

النوع الأول: محبة السابقين يحب الأشياء محبة طبيعية ويستعين بها على طاعة الله.

النوع الثاني: أحب المباح لكنه لم يتقوَّ ولم يستعن بها على طاعة الله.

النوع الثالث: أحب المباح وقدَّمه وآثره على محبة الله.

نسأل الله أن يجعلنا ممن اتبع هداه.

(١٩) انتهى كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

(وَمَحَبَّتُهُ) أي: محبة المخلوق. أي: محبة غير الله. هي الأصل في هذا الشرك؛ فلم يقع فيه إلا بسبب المحبة، فلو كان لا يحبه لما رغب إليه واستغاث به في قضاء حوائجه وتفريج كرباته.

(٢٠) تقدم معنا نحوها.

(٢١) هذا تعريف الإله.

غَيْرِ اللَّهِ، وَأَثْبَتَهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ فَهَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ مُطَابَقَةً (٢٢)، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا(٢٣)، وَاعْتِقَادِهِ (٢٤)، وَقَبُولِهِ (٢٥)، وَالْعَمَلِ بِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا (٢٦)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(٢٢) كلمة (لا إله إلا الله) تدل على هذا دلالة مطابقة؛ لأنها نفت الشرك بالله وأفردت التوحيد لله وحده، وهذه أركان (لا إله إلا الله): نفي، وإثبات.

وتقدم لنا أن دلالة الألفاظ على ثلاثة أقسام:

دلالة مطابقة: وهي دلالة اللفظ على جميع معناه.

ودلالة تضمن: وهي دلالة اللفظ على بعض معناه.

ودلالة الالتزام: وهي دلالة اللفظ على شيء خارج عن مسماه.

(٢٣) لا بد من معرفة معنى (لا إله إلا الله)، معناها: نفي وإثبات، لا معبود بحق إلا الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

(٢٤) لا بد من اعتقاد القلب، أما أن يقول: (لا إله إلا الله) بلسانه ولم يعتقد بقلبه فهذا نفاق ولا ينفع ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨].

(٢٥) يقبله بقلبه وإلا كان منافقًا.

(٢٦) فلا يكفي العمل به باطنًا، أي: اعتقادًا دون الظاهر، أو العمل به ظاهرًا دون الباطن.

وهذه بعض شروط (لا إله إلا الله)، وقد تقدم ذلك ولله الحمد، وينظر «شرح فتح المجيد» (١/٧٧٧) للشيخ صالح الفوزان حفظه الله.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تَعَالَى: فَتَوْحِيدُ الْمَحْبُوبِ أَنْ لَا يَتَعَدَّدَ مَحْبُوبُهُ، أَيْ: مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادَتِهِ لَهُ (٢٧)، وَتَوْحِيدُ الْحُبِّ أَنْ لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةُ حُبٍّ حَتَّى يَبْذُلَهَا لَهُ (٢٨) فَهَذَا الْحُبُّ-وَإِنْ سُمِّيَ عِشْقًا (٢٩)-فَهُوَ(٣٠) غَايَةُ صَلَاحِ الْعَبْدِ، وَنَعِيمِهِ، وَقُرَّةِ عَيْنِهِ، وَلَيْسَ لِقَلْبِهِ صَلَاحٌ (٣١)، وَلَا نَعِيمٌ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُمَا،

---

(٢٧) هذا توحيد المحبوب: ألَّا يتعدد محبوبه مع الله تَعَالَى، فلا يحب مع الله غيره، فمن أحب الله وحده فهذا هو التوحيد، توحيد المحبوب بعبارة ثانية: ألَّا يحب إلا الله وحده.

(٢٨) هذا توحيد الحب، المحبة التامة لله سُبحَانَهُ، وهذا هو توحيد المحبة.

(٢٩) هذه جملة اعتراضية.

العشق: الحب المفرط.

ولا يستعمل في محبة الله، قال ابن القيم رحمه الله في «روضة المحبين»(٢٨): العشق إفراط المحبة، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى؛ فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في الشيء، ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه، فضلا أن يقال: أفرط في حبه.

وقال أيضًا في «روضة المحبين»(٢٨): وقال جمهور الناس: لا يطلق ذلك في حقه ﷻ فلا يقال: إنه يعشق، ولا يقال: عشقه عبده.

وقال أيضًا في «مدارج السالكين»(٣/١٧): وَلِهَذَا لَا تُسَمَّى مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ عِشْقًا-كَمَا سَيَأْتِي- لِأَنَّهُ إِفْرَاطُ الْمَحَبَّةِ، وَالْعَبْدُ لَا يَصِلُ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ إِلَى حَدِّ الْإِفْرَاطِ، أَلْبَتَّةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وينظر «شرح العقيدة الطحاوية»(١/١٦٦).

(٣٠) أي: توحيد المحبة.

(٣١) هذا مما يحتويه محبة العبد لربه: أنها فيها الغاية في صلاح العبد وفلاحه، ونعيمه وقرة عينه وسروره، فإذا كان يحب الله سُبحَانَهُ ولا يشرك معه غيره، فقد ظفر بسعادته وصلاحه وفوزه.

وَأَنْ تَكُونَ مَحَبَّتُهِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَابِعَةٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُحَبُّ إِلَّا اللَّهُ [٣٢]، كَمَا فِي الْحَدِيثِ «الصَّحِيحِ»: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ...» الحَدِيثَ [٣٣].

وَمَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ هِيَ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَمَحَبَّةُ المَرْءِ إِنْ كَانَتْ لِلَّهِ؛ فَهِيَ مِنْ مَحَبَّتِهِ [٣٤]، وَإِنْ كَانَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهِيَ مُنْقِصَةٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ، مُضْعِفَةٌ لَهَا.

وَيَصْدُقُ هَذِهِ المَحَبَّةَ [٣٥] بِأَنْ تَكُونَ كَرَاهِيَتُهُ لِأَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَهُوَ الْكُفْرُ [٣٦] بِمَنْزِلَةِ كَرَاهِيَتِهِ لِإِلْقَائِهِ فِي النَّارِ أَوْ أَشَدَّ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ المَحَبَّةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُقَدِّمُ عَلَى مَحَبَّةِ نَفْسِهِ وَحَيَاتِهِ شَيْئًا، فَإِذَا قَدَّمَ مَحَبَّةَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَلَى نَفْسِهِ، بِحَيْثُ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَإِلْقَائِهِ فِي النَّارِ لَاخْتَارَ

---

(٣٢) سقط: (ولا يحب إلا لله)، كما هو مُثبَت في بعض النسخ.

(٣٣) هذا رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) عن أنس رضي الله عنه.

فليس في قلب أحد صلاح ولا نعيم إلا بمجموع أمرين: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله، يفسره ما بعده (فلا يحب إلا الله ولا يحب إلا لله)، فهذا يعود إلى الأول(فلا يحب إلا الله)، (ولا يحب إلا لله)وهذا هو الثاني، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، المحبة في الله تابعة لمحبة الله؛ لأنه ما أحب ذلك المحبوب إلا لله.

(٣٤) أي: من محبة الله، فمن أحب أخًا له في الله لدينه واستقامته فهذا من محبة الله، وهذا هو الحب في الله والبغض في الله، وإن أحبه لغير الله كمحبته لمصالح دنيوية هذا نقص في محبة الله؛ لأن هذه المحبة ليست لله.

(٣٥) أي: علامة صدق هذه المحبة التي تكون لله. ودليله حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣٦) هذا أبغض الأشياء إلى الله الكفر، كما أنه أعظم معصية.

أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ وَلَا يَكْفُرَ؛ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ (٣٧).

وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ فَوْقَ مَا يَجِدُهُ الْعُشَّاقُ الْمُحِبُّونَ مِنْ مَحَبَّةِ مَحْبُوبِيهِمْ، بَلْ لَا نَظِيرَ لِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا لَا مِثْلَ (٣٨) لِمَنْ تَعَلَّقَتْ بِهِ (٣٩).

وَهِيَ مَحَبَّةٌ تَقْتَضِي تَقْدِيمَ الْمَحْبُوبِ فِيهَا عَلَى النَّفْسِ، وَالْمَالِ، وَالْوَلَدِ، وَتَقْتَضِي كَمَالَ الذُّلِّ، وَالْخُضُوعِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالطَّاعَةِ، وَالِانْقِيَادِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا (٤٠).

---

(٣٧) وهذا لا يكون إلا لأهل الإيمان الكامل، يكون لو خير بين الكفر وبين إلقائه في النار يختار أن يلقى في النار ولا يكفر، وهذا لا يكون إلا للخلَّص وكُمَّل الإيمان؛ ولهذا أبيح الكفر باللسان للمكره، كما قال تَعَالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

(٣٨) لا نظير.

(٣٩) وهو الله سُبحَانَهُ، فلا نظير لمحبة المؤمن لربه كما تقدم في آية سورة البقرة.

(٤٠) هذا مما تقتضيه محبة الله: أن يقدم محبوبه- وهو الله ﷻ- يقدم أوامره، يجتنب نواهيه، ويقدم ذلك على ما تهواه النفس، وتقتضي أيضًا كمال الذل والخضوع.. إلخ، فهذه محبة العبادة التي صرفها لغير الله شرك.

وهنا فائدة نقرؤها؛ لنستفيدها في بيان أسباب تغرس في قلب المؤمن محبة ربه وتقويها. قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين»(٣/١٩): فِي الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمُوجِبَةِ لَهَا وَهِيَ عَشَرَةٌ.

وَهَذَا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي مَحَبَّةِ مَخْلُوقٍ، وَلَوْ كَانَ الْمَخْلُوقُ مَنْ كَانَ؛ وَلِهَذَا مَنْ شَرَّكَ بَيْنَ اللَّهِ

أَحَدُهَا: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ، كَتَدَبُّرِ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْعَبْدُ وَيَشْرَحُهُ. لِيَتَفَهَّمَ مُرَادَ صَاحِبِهِ مِنْهُ.

الثَّانِي: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ. فَإِنَّهَا تُوَصِّلُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ.

الثَّالِثُ: دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ: بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ. فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ.

الرَّابِعُ: إِيثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَالتَّسَنُّمُ إِلَى مَحَابِّهِ، وَإِنْ صَعُبَ الْمُرْتَقَى.

الْخَامِسُ: مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا. وَتَقَلُّبُهُ فِي رِيَاضِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَمَبَادِيهَا. فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ؛ وَلِهَذَا كَانَتِ الْمُعَطِّلَةُ وَالْفِرْعَوْنِيَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ عَلَى الْقُلُوبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَحْبُوبِ.

السَّادِسُ: مُشَاهَدَةُ بِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ، وَنِعَمِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى مَحَبَّتِهِ.

السَّابِعُ:-وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا-انْكِسَارُ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَيْسَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ الْأَسْمَاءِ وَالْعِبَارَاتِ.

الثَّامِنُ: الْخَلْوَةُ بِهِ وَقْتَ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ؛ لِمُنَاجَاتِهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَالْوُقُوفِ بِالْقَلْبِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ خَتْمِ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

التَّاسِعُ: مُجَالَسَةُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَالْتِقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ كَمَا يَنْتَقِي أَطَايِبَ الثَّمَرِ. وَلَا تَتَكَلَّمْ إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الْكَلَامِ، وَعَلِمْتَ أَنَّ فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِكَ، وَمَنْفَعَةً لِغَيْرِكَ.

الْعَاشِرُ: مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ ﷻ.

فَمِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْعَشَرَةِ: وَصَلَ الْمُحِبُّونَ إِلَى مَنَازِلِ الْمَحَبَّةِ. وَدَخَلُوا عَلَى الْحَبِيبِ. وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمْرَانِ: اسْتِعْدَادُ الرُّوحِ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَانْفِتَاحُ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

تَعَالَى وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ [٤١]؛ كَانَ مُشْرِكًا شِرْكًا لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، كَمَا قَالَ

---

(٤١) المحبة الخاصة بالله هي: محبة التذلل والتعظيم والخضوع والاستكانة، وهذا أحد أقسام المحبة، وتقدم في الكلام السابق المحبة من أنواعها المحبة الطبيعية.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «القول المفيد»(٢/ ٤٥): والمحبة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: محبة عبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه؛ ما يقتضي أن يمتثل أمره، ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة، فهو مشرك شركا أكبر، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة.

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله، أي: كون الشيء محبوبا لله تعالى من أشخاص، كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعمال، كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك. وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والضعفاء، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة، كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، ولكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول، والبقية من قسم المباح، إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة، فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب؛ من أجل أن يقوم ببر والده، صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد؛ صارت عبادة.

وكذلك المحبة الطبيعية، كالأكل والشرب، والملبس والمسكن؛ إذا قصد بها الاستعانة على عبادة صارت عبادة؛ ولهذا (حبب للنبي ﷺ النساء والطيب)، من هذه الدنيا فحبب إليه النساء؛ لأن

تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَادِ لِأَنْدَادِهِمْ (٤٢)، كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ لَا يُمَاثِلُهَا مَحَبَّةُ مَخْلُوقٍ أَصْلًا، كَمَا لَا يُمَاثِلُ مَحْبُوبَهُمْ

ذلك مقتضى الطبيعة، ولما يترتب عليه من المصالح العظيمة، وحبب إليه الطيب؛ لأنه ينشط النفس ويريحها ويشرح الصدر، ولأن الطيبات للطيبين، والله طيب لا يقبل إلا طيبا.

فهذه الأشياء إذا اتخذها الإنسان بقصد العبادة؛ صارت عبادة، قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». اهـ.

(٤٢) هذا في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

وعلى هذا التفسير المشركون لا يحبون الله ولكن يحبون أندادهم، بخلاف المؤمن فمحبته لله أشد من محبة المشركين لأندادهم، فهذا قول.

القول الثاني: أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من محبة المشركين لله؛ لأنهم ضعفت محبتهم لمحبتهم غير الله كمحبة الله أو أشد.

فهل المشركون يحبون الله على هذين القولين؟ على القول الأول لا يحبون الله وإنما يحبون أندادهم.

وعلى القول الثاني: يحبون الله، ولكن محبة المؤمن أشد؛ لأنه محبتهم خالصة لله. وتقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا.

غَيْرُهُ(٤٣).

وَكُلُّ أَذًى فِي مَحَبَّةِ غَيْرِهِ(٤٤)؛ فَهُوَ (٤٥) نَعِيمٌ فِي مَحَبَّتِهِ (٤٦)، وَكُلُّ مَكْرُوهٍ فِي مَحَبَّةِ غَيْرِهِ؛ فَهُوَ قُرَّةُ عَيْنٍ فِي مَحَبَّتِهِ (٤٧).

وَمَنْ ضَرَبَ فِي مَحَبَّتِهِ الْأَمْثَالَ الَّتِي فِي مَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ: كَالْوَصْلِ، وَالْهَجْرِ، وَالتَّجَنِّي بِلَا سَبَبٍ مِنَ الْمُحِبِّ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ فَهُوَ مُخْطِئٌ أَقْبَحَ الْخَطَإِ وَأَفْحَشَهُ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِالْإِبْعَادِ وَالْمَقْتِ. انْتَهَى(٤٨).

---

(٤٣) محبوب المؤمنين -وهو الله- لا يماثل غيره، قال تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، فكما لا يماثل الله أحدًا من خلقه كذلك محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا.

(٤٤) أي: في محبة غير الله، فقد يحب الإنسان شخصًا ويحصل له أذى بسبب محبته له إما من حاسد، أو يُبتلى بذلك من المحبوب نفسه، فما يحصل للمؤمن -والمراد: المؤمن القوي- من أذى في الله سُبحَانَهُ ومحبته فهو نعيم عنده ولذة.

(٤٥) أي: الأذى.

(٤٦) في محبة الله.

(٤٧) مثل ما سبق، وإنما هو مغايرة في الألفاظ والتعبير، فما يحصل له من مكروه مما لا يلائم النفس في محبة أحد من المخلوقين، ما يحصل له من مكروه في محبة الله يكون نعيمًا عنده وله حلاوة.

(٤٨) انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

فهنا محبة الله سُبحَانَهُ لا يضرب لها المثل بمحبة مخلوق لمخلوق، فتارة في الوصل مودة واجتماع، وتارة هجر وقطيعة، وتارة تجني واتهام من غير سبب من المحب، الله ﷻ لا يقاس محبته بمحبة المخلوق للمخلوق، يتغير المحبوب على من يحبه من غير سبب، فمحبة الله ﷻ قائمة على العدل والعلم والحكمة.

انتهينا من هذه الآية الكريمة، واستفدنا:

أن من أحب مخلوقًا كما يحب الله أو أكثر فقد اتخذه ندًا من دون الله وكان مشركًا؛ لأن هذه المحبة خاصة بالله.

بيان المحبة الخاصة بالله، وهي التي تقتضي الذل والخضوع والانقياد، والله أعلم.